الثورة
السبت 9 رمضان 1433 هـ الموافق 28 يوليو 2012م العدد 17420

مديرية بني الحارث نموذجاً:

التسول في رمضان..
بين الحاجة والجشع لجمع المال

استطلاع/
مراد الصالحي
- حافظ حفظ الله

مع حلول شهر رمضان تشهد مختلف المدن في عموم محافظات الجمهورية ارتفاعا كبيرا في عدد المتسولين، حيث أصبح شهر رمضان من كل عام مناسبة لشيوع ظاهرة التسول في الأسواق وفي المساجد والشوارع العامة، بل إن هنالك من المتسولين من يطوف المنازل بحثا عن «ما يسد رمقه ورمق أسرته..»كما يقول هؤلاء المتسولون، ومثلما يوجد أناس دفعتهم الحاجة إلى مد أيديهم، هنالك -أيضا- أناس يدفعهم جشعهم إلى استغلال أجواء رمضان الإيمانية التي تكثر فيها أعمال الخير، ليمد يده متسولا، وهذا ما تأكد لنا ونحن نجري الاستطلاع التالي:

● لقد بات المتسولون أكثر حذرا من الصحافة، بحيث يصعب طرح سؤال عليهم أو أخذ تصريح منهم، إذا ما عرفوا بأنك صحفي، ومع هذا غامرنا ووجهنا لعدد منهم أكثر من سؤال، واستعنا في ذلك بالحيلة التي لا تتعارض مع المهنة، ولا تسيئ لمن وجهنا لهم أسئلتنا التي تتمحور حول معرفة الأسباب التي دعتهم إلى احتراف التسول خلال شهر رمضان المبارك، فأجمعت مختلف الآراء التأكيد على أن الفقر يبقى أهم الأسباب التي تدفع إلى امتهان التسول، ولكونهم يعجزون، خلال هذا الشهر، عن تلبية حاجيات أفراد أسرهم من متطلبات مختلف المواد الغذائية، وأوضح البعض منهم أن المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشونها هي التي جعلتهم يتسولون، خصوصا في ظل تردي الوضع المعيشي والارتفاع الفاحش لأسعار المواد الغذائية خلال هذا الشهر، حيث يعجز المواطن عن اقتناء أبسط حاجياته، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالمواد الغذائية الأساسية- بحسب ما ذكروا.

تسول من أجل توفير لقمة العيش

● وتقول متسولة في الأربعينيات من العمر: «أنا أرملة، وأم لأربعة بنات وولدين، أنا فقيرة، ولا أجد خيارا آخر غير التسول للحصول على المال الذي أستطيع به توفير لقمة العيش لأبنائي وبناتي، حيث أعجز عن توفير أبسط المواد الغذائية».

مشاكل عائلية

● إلى جانب ذلك، عزى عدد من الأطفال المتسولين تسولهم إلى المشاكل العائلية التي يعيشونها كطلاق الوالدين أو وفاة أحدهما، وتحملهم المسؤولية في غياب معيل للأسرة، وتعرضهم لسوء المعاملة في الوسط العائلي، كما كشفت التصريحات التي استقيناها بأن تزايد أعداد المتسولين يعود إلى المتسولين الموسميين الذين تعودوا التسول في شهر رمضان وفي باقي المناسبات الدينية الأخرى.

مكان دائم

● الأخ/ حسين تهامي اختار سوق دارس بمديرية بني الحارث مكانا دائما له خلال شهر رمضان ليجول فيه طالبا من المارة والمتسوقين مساعدته بما يستطيعون من النقود حيث قال: لن أذهب مكان آخر غير سوق دارس حتى ينتهي شهر رمضان، كون الناس الذين يأتون إليه لشراء حاجتهم يحبون الخير ولا يبخلوا علينا والحمدلله.

● وقبل أن يكمل حديثه انطلق مسرعا نحو إحدى السيارات حديثة الصنع التي كانت تمر على مقربة منا، وبدأ يتحدث إلى سائقها بهدوء مبالغ فيه، فتركناه لحاله واتجهنا إلى داخل السوق لنجد هنالك عشرات المتسولين، منهم الحاج/أبو علي الذي سألناه عن السبب الذي دفعه لطلب المساعدة من المواطنين، فرد قائلا: لم أعد قادرا على الاغتراب ولا على ممارسة الأعمال الشاقة كما كنت في شبابي، فخرجت لطلب صدقات من الناس لأتمكن من الانفاق على بناتي الثلاث وعلى زوجتي وعلى نفسي، فليس لي مصدر آخر غير ما يقدم لي من مساعدات من رجال الخير.

نظرات مستهزئة؟!

● أم عبدالرحمن حيدر هي الأخرى اختارت سوق دارس لطلب الصدقة ممن يقصده، وجدناها وهي تحمل بين يديها طفلا رضيعا وقبل أن نوجه لها سؤالنا حول الأسباب التي دفعتها إلى الخروج من منزلها طلبا للمساعدة، سألتنا «صدقة يا عيالي في هذا الشهر الكريم لأشتري بها الدواء لابني الذي يعاني من مرض خبيث»-حسب قولها- فأعطيناها القليل، إلا أن ذلك لم يرق لها، حيث رمقتنا بنظرات مستهزئة كوننا لم نمنحها صدقة معتبرة؟!

إنها العادة

● ومن المواطنين الذين وجدناهم يفتشون في جيوبهم بحثا عن عشرة أو عشرات الريالات المعدودة ليقدموها لمن يلقفهم من المتسولين، التقينا الأخ/ محمد فرحان فتحدث عن ظاهرة التسول في شهر رمضان المبارك بالقول: كما هي العادة في شهر رمضان من كل عام ينتشر المتسولون بالشوارع والأماكن العامة والأسواق الشعبية وغيرها من الساحات، يمدون أيديهم في هذا الشهر لجمع الأموال للعيش، فيما آخرون يتسولون جشعا وطمعا في جمع الأموال، بعكس بقية أشهر السنة التي لا تجد فيها سوى أعداد قليلة من المتسولين في هذه الأماكن التي ذكرتها.

ظاهرة مقلقة

● من جانبه قال الأخ/يحيى أحمد إسماعيل: كانت ظاهرة التسول في مديرية بني الحارث عادية بعض الشيء، لكن مع بداية شهر رمضان الكريم أصبحت مقلقة جدا، حيث ينتشر المتسولون في مختلف أسواق وشوارع وجوامع وحارات المديرية بشكل كبير وملفت للانتباه، ويصطدم أهالي المديرية والمارة فيها بأعداد هائلة من المتسولين من الجنسين، ومن مختلف الفئات العمرية، أطفال، نساء، رجال، شيوخ وعجائز، وحتى الفتيات الشابات أصبحن يمتهن هذه المهنة بكثرة، وجميعهم ينتشرون في كل مكان، في الشوارع الرئيسية والأزقة وفي تقاطعات الشوارع وفي مفترقات الطرق، وفي مواقف السيارات والباصات، وأمام مكاتب البريد والبنوك، وعند أبواب المساجد والمقابر، يستوقفونك طالبين بإلحاح شديد مساعدتهم.

اغتنام شهر العبادة

● وعموماً فإن الظاهرة استفحلت بشكل لافت للانتباه في مديرية بني الحارث وباقي المديريات المجاورة خلال هذا الشهر الكريم، فبعدما كانت هذا الظاهرة محدودة جدا ومقتصرة على النساء والأطفال دون الرجال قبل نحو عقدين ونصف من الزمن- كما ذكر عدد من كبار السن، أصبحت اليوم مستفحلة وبصورة كبيرة ولم تعد مقتصرة على الأطفال والنساء بل أصبح الرجال، وشيوخ والشباب في مقدمة المتسولين، حيث يغتنمون أيام وليالي شهر رمضان المبارك الذي يكثر فيه معظم المواطنين من العبادات بكل أنواعها بما فيها الصدقة.

جهات وأماكن مفضلة

● إن ما يشد انتباهك وأنت تقوم بجولة في أي من المدن اليمنية ومنها مدينة الروضة هو تمركز المتسولين أمام أبواب المساجد التي تكتظ في هذا الشهر بالمصلين، في كافة فروض الصلوات الخمس، فما أن يحل شهر رمضان، إلا وتجد أبواب المساجد ومداخل الأسواق الشعبية والمستشفيات مكتضة بالمتسولين، ولا يكاد يخلو أي مكان منهم، حتى أصبح البعض يعتبر التسول مصدرا للرزق الوافر، حيث تلين القلوب وتكون أكثر سخاء من الأشهر الأخرى، وبعباراتهم التي تهز القلوب وبملابسهم الرثة وأحيانا بأطفالهم الرضع الذين يحملونهم وبعاهاتهم يكون المواطن مجبرا أحيانا على التصدق بعد وابل من الأدعية وعبارات الاستعطاف والترجي، فالتسول يلجأ إليه بعض ممن لا معيل لهم، خاصة في الشهر الكريم حيث لا يجد الشخص ما يقدمه لعائلته وأولاده، فيلجأ إلى التسول لإعالة عائلته،والبعض الأخر حتى وإن كان ميسور الحال يلجأ إليه ليزيد من مدخراته..

أساليب الاستجداء

● وعزى دكتور علم النفس/مروان علي أسباب ظاهرة التسول في شهر رمضان إلى وجود متسولين لم يعد لديهم مانع من التضحية مقابل هذه المهنة لارتفاع دخلهم منها، حيث تدر على محترفيها دخلا عاليا يمكنهم من بناء بيوت فخمة وشراء سيارات فارهة..،وجميعنا يعلم أن النسبة الكبيرة من المتسولين يستعملون أساليب استجداء مصطنعة وغير حقيقية، مثل إدعاء المرض أو الإعاقة، وحمل أوراق مزورة تفيد بإصابة المتسول أو أحد أقاربه بأمراض أو مشاكل صحية جسيمة، وكذلك استخدام الأطفال الصغار في محاولة لكسب عطف الناس، وقد تصل في بعض الأحيان إلى تشويه أنفسهم عمداً للحصول على المال.

وأضاف: كما أصبح المتسولون يبتكرون تقنيات وأدوات للتسول بقصد التأثير على المارة والظفر بعطفهم، فمعظمهم يستخدم عبارات دينية تدعو للمارة بصيام مقبول وبشهر كريم، وبالخير والرحمة. ويعتمد بعض المتسولين، كذلك، على وضع وصفات طبية وعلب الأدوية أمامهم، كما تحمل النساء معهن أطفالا حديثي الولادة، وآخرون يبدون عاهاتهم وإعاقاتهم الجسدية.. وكل هذه الفنيات ترافقها ملامح حزينة وعبارات مؤثرة تصل إلى حد البكاء بالدموع استدرارا لعطف المواطنين وإثارة شفقتهم.